مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الأول
(ذو الحجة 1446هـ/ جوان 2025م)، ص 41– 54

سياسة سلاطين بني زيان وأثرها في ازدهار الحياة العلمية والفكرية بالمغرب الأوسط

The policy of Sultan Bani Zian and its impact on the prosperity of scientific and intellectual life in the Maghreb Central

[1]بشير مبارك **[1]Bachir Mebarek**

[1] المركز الجامعي مرسلي عبد الله(تيبازة)

Abdullah Mursali Tipaza University Centre

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية تيبازة

Historical and Archaeological Studies Laboratory

المؤلف المرسل: بشير مبارك Mebarek Bachir الإيميل:Mebarek.bachir@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: **19 /2025/03** تاريخ القبول: **24 /2025/05** **تاريخ النشر: 04/06/ 2025**

الملخص:

تهدف الورقة البحثية إلى الحديث عن أبرز العوامل المساعدة على نمو وازدهار الحركة العلمية والفكرية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني، ولعل من أبرز تلك العوامل سلاطين بني زيان الذين كان لهم اهتمام بالعلم وأهله بحيث قربوهم ووفروا لهم الظروف المواتية لتحقيق طفرة علمية وفكرية بالمغرب الأوسط .

إن سياسة حكام بني زيان ارتكزت كثيرا تقريب العلماء وبناء مدارس تعليمية اعتبرت بمثابة الجامعات في وقتنا الحالي علّها تكون مركز إشعاع علمي في بلاد المغرب ومنافسة لكبريات الجامعات في العالم الإسلامي كجامع الزيتونة بتونس والأزهر بمصر والقرويين بفاس.

الكلمات المفتاحية: السلطان الزياني.، أبو حمو موسى.، المغرب الأوسط.، المدارس التعليمية.، تلمسان.

Abstract:

The research paper aims to talk about the most important factors that help the growth and prosperity of the scientific and intellectual movement in the Middle West over the Zayani era. Perhaps the most prominent of these factors are the Sultans of Bani Zayan, who were interested in science and its people so that

they were close to them and provided them with conditions conducive to a scientific and intellectual boom in the Maghreb Central .

The policy of Sultan Bani Zian has been very much based on the proximity of scholars and the construction of educational schools, which have been regarded as universities at the present time as the centre of scientific radiation in the Maghreb and as competing with the major universities in the Islamic world, such as the Al-Zaytuna Mosque in Tunisia, the Azhar Egypt and Al-Quaraouyine in Fas.

Keywords : Sultan Al-Zayani; Abu Hamu Musa ;Maghreb Central; educational schools ;Tlemcen.

1. مقدمة:

يعتبر موضوع ازدهار الحياة الفكرية والعلمية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من المواضيع الجديرة بالبحث والدراسة، فالمغرب الأوسط أيام كثير من سلاطين بني زيان العلماء تبوأ مكانة علمية مرموقة بين جيرانه خاصة بعد تأسيس كثير من المدارس التعليمية التي عدّت بمثابة الجامعات والمعاهد المتخصصة في وقتنا الحالي تخرج منها فطاحل من العلماء .

هذه المكانة ما كانت لتتم لولا اهتمام سلاطين الدولة الزيانية بالعلم وأهله، اعتبارا لذلك جاء موضوع ورقتي البحثية موسوماً بـ :" **سياسة سلاطين بني زيان وأثرها في ازدهار الحياة العلمية والفكرية بالمغرب الأوسط** ".

في هذه الورقة البحثية سأحاول الحديث عن الواقع العلمي والفكري بالعالم الإسلامي قبيل قيام الدولة الزيانية، ثم أعرج للحديث عن المنهج الذي اتبعه حكام الدولة الزيانية في المجال الفكري والعلمي ويتقدم هؤلاء السلطان أبو حمو موسى الثاني.

تطرح الورقة البحثية إشكالية رئيسة هي: سلاطين بني زيان والحياة العلمية والفكرية.

تتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية منها:

- كيف تحدّثت المصادر الإخبارية عن واقع الحياة العلمية في العالم الإسلامي ؟
- هل كان لسلاطين الدولة الزيانية بالجانب العلمي ؟
- ما مظاهر تلك العناية؟
- من هم أبرز السلاطين الذين كانت لهم عناية بالجانب الفكري والعلمي ؟
- ما أثار ذلك على المغرب الأوسط ؟

للإجابة عن تساؤلات الورقة البحثية كان لابد من اعتماد منهج خاص يجمع بين الوصف والتحليل والاستنتاج.

2. واقع المجال العلمي في العالم الإسلامي قبيل قيام الدولة الزيانية:

قبل الحديث عن سياسة حكام بني عبد الواد في المجال الفكري لا مانع أن نلقي نظرة على الأحداث التي عاشها العالم الإسلامي بشطريه الغربي والشرقي خلال القرن السابع الهجري (13م) وهي الفترة التي عرفت سقوط دولة الموحدين بالغرب الإسلامي وظهور ثلاثة كيانات سياسية، تمثلت في المرينيين بالمغرب الأقصى، والزيانيين بالمغرب الأوسط، والحفصيين بالمغرب الأدنى .

عرف العالم الإسلامي خلال الفترة التي تزامنت مع بداية انهيار دولة الموحدين حروبا صليبية ضد كل ما هو مسلم أو يرمز للإسلام، فالمشرق الإسلامي شهد وطأة الحركة الصليبية والغزو المغولي الذي اجتاح عاصمة الدولة العباسية وأنهى وجودها، حتى أن البعض من المؤرخين أحجموا عن الكتابة حول هذا الغزو في مقدمتهم عز الدين بن الأثير الذي أشار إلى إعراضه عن التأريخ للحادثة التاريخية الشهيرة التي طمست معالم الحضارة العباسية بالأخص حاضرتها بغداد نظر لهول ما ارتكبة التتار من جرائم في حق مركز حضارة المسلمين آنذاك.[1]

هؤلاء طالت أيديهم كل ما هو حضاري ثقافي حسب ما صورت لنا المصادر الإسلامية بشاعة هذا الغزو، فوصفتها بالحادثة العظمى والمصيبة الكبرى[2] فقد قام جنكيزخان[3] سنة (617هـ/1218م) بإحراق الكتب والنفائس العلمية في مدينتي بخارى ونيسابور وعمل هولاكو على احتلال مدينة بغداد سنة (656هـ/ 1258م) وأتى على المصنفات والمؤلفات التي كانت بخزائنها وألقى بها في مياه دجلة حتى صار النهر معبرا للناس، ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا ونكلوا بالعلماء والفقهاء ومن سار على نهجهم.[4]

وفي نفس الوقت شهد العالم الإسلامي حملة صليبية افرنجية قدمت من المغرب وكانت وجهتها مصر والشام.[5]

أما الأندلس فقد كانت مصرحا لحرب صليبية مدمرة بين المسلمين والإسبان، ولم تتوقف عند إبادة المسلمين وتشريدهم، بل لم تنجوا حتى خزائن الكتب فأحرقوا وصادروا وأتلفوا عددا كبيرا من الكتب والمخطوطات الموجودة بخزائن الحواضر الأندلسية.

من خلال ما سبق يتضح لنا جليا الكمية الهائلة من الكتب والمخطوطات التي أحرقت أو صودرت بفعل التتر في المشرق والإسبان في الأندلس، هذا ما كان له وقع وتأثير كبيرين على الحركة العلمية، حيث تقهقرت بأغلب أقطار العالم الإسلامي خلال هذه الفترة العصيبة التي مر بها.

في هذه الأثناء عرف المغرب الإسلامي سقوط دولة الموحدين وظهور ثلاث قوى سياسية تنافست فيما بينها من أجل شرعية وراثة العرش الموحد ي، وبالفعل ورثت هذه القوى الإرث الموحدي في شتى الميادين وبالخصوص الميدان الثقافي حيث زادت عليه جرعات حتى ترقى بها.

إن القوى السابقة الذكر قد دخلت في حروب شبه دائمة فيما بينها لأسباب متعددة، وما يهمنا في عملنا هذا الدولة الزيانية، هذه الأخيرة عانت من الحملات المرينية والحفصية المتكررة ومن الفتن الداخلية، لكن هذا لم يؤثر كثيرا على الحياة الثقافية والفكرية بالمغرب الأوسط حتى في أحلك ظروفه السياسية وذلك بفضل تأثير جملة من العوامل .

بتأسيس الدولة الزيانية دخل المغرب الأوسط عهدا حافلا بالأمجاد في شتى المجالات الحضارية وبالخصوص المجال الفكري، وهذا ما نستشفه من خلال ما أشارت إليه كتابات المؤرخين الذين تطرقوا للحياة الفكرية بالدولة الزيانية، فغالبا ما نجدهم يصفون النهضة الفكرية فيها بنعوت مختلفة تعبر عن مدى تطور وازدهار هذا الجانب مثل: "الازدهار الثقافي، النشاط العلمي، الحياة الفكرية " وغيرها من النعوت الأخرى التي لا يتسع المجال لذكرها .

3.دعوة الإسلام إلى الاهتمام بالعلم وأهله:

عندما جاء الإسلام كان من أبرز مظاهره وآثاره على المجتمع الإسلامي تقديره للعلم والعلماء ودعوته إلى التعلّم والتعليم، فحث الناس على طلب العلم وتعليمه، ودعا العقل الإنساني إلى التفكير وتمجيد العلماء والرفع من شأنهم وأقدارهم، وقد كثرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وبعض ما أثر عن الصحابة من أقوال تدعو إلى طلب العلم وتمجيد أهله، فمن الآيات القرآنية التي دعت إلى ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر، أول آية قرآنية نزلت على سيدنا مُحَمَّد (ﷺ) صورة العلق التي دعته إلى القراءة وهي صريحة الدعوة إلى ذلك، قال تعالى: "اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ اَلْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اَقْرَأْ وَرَبُّكَ اَلْأَكْرَمُ اَلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ اَلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ".[6] وقال تعالى: "...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي اَلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَاَلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ "[7]، وقال أيضا: " إِنَّمَا يَخْشَى اَللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ اَلْعُلَمَاءُ"[8]، هذه بعض الآيات من الذكر الحكيم التي دعت إلى طلب العلم وتمجيد أهله.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الأول
(ذو الحجة 1446هـ/ جوان 2025م)، ص 41– 54

أما الأحاديث النبوية في هذا الشأن فهي كثيرة وسنكتفي بذكر البعض منها، قال (ﷺ): "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورّثوا العلم ومن أخذ به أخذ بحظ وافر"[9]، وعن أبي أمامه (رضي الله عنه) قال: ذكر للرسول (صلى الله عليه وسلم) رجلان أحدهما عالم والآخر عابد فقال: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم".[10]

أما ما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في هذا المجال ما قاله علي بن أبي طالب في قصيدة شعرية من البحر البسيط يمجد فيها أهل العلم مطلعها:

مَا اَلْفَخْرُ إِلَا لِأَهْلِ اَلْعِلْمِ إِنَّهُمْ *** عَلَى اَلْهُدَى لِمَنْ اِسْتَهْدَى أَدِلاَءُ
وَقَدَرُ كُلِ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ *** وَاَلْجَاهِلُوْنَ لِأَهْلِ اَلْعِلْمِ أَعْدَاْءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًا بِهِ أَبَدًا *** اَلْنَاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ اَلْعِلْمِ أَحْيَاءُ[11]

وقال معاذ بن جبل (رضي الله عنه): "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة".[12]

وذكر لنا ابن مرزوق في مسنده بيتين شعريين من البحر البسيط يمجد فيهما العلم فيقول :

وَاَلْعِلْمُ يُحْيِي قُلُوْبَ اَلْمُؤْمِنِيْنَ كَمَا *** تَحْيَى اَلْبِلَاْدُ إِذَاْ مَسَّهَاْ اَلْمَطَرُ
وَاَلْعِلْمُ يَجْلُوْ اَلْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ *** كَمَاْ يَجْلِيْ سَوَاْدُ اَلْظُلْمَةِ اَلْقَمَرُ[13]

إذن الإسلام أعطى أهمية كبرى للعلم فمجّد العلماء وبجّلهم لما لهم من فضل على المجتمع، فالعلم مقياس الحضارة لشعب من الشعوب وهو المعيار الذي يميز كما ونوعا هذا الشعب عن ذاك وهذا البلد عن سواه، ونجد أن جل الخلفاء والملوك الذين حكموا أقطار الدولة الإسلامية أولوا عناية هامة للعلم والعلماء، فأنشئوا المؤسسات التعليمية المتمثلة في المساجد، والزوايا، والكتاتيب، والمدارس أين كانت تلقن مختلف فنون العلم، فأصبحت مسؤولية التعليم مسؤولية الكل، سواء الفردية أو الجماعية، وبذلك ازدهرت الحركة العلمية واتسعت مجالات المعرفة، حيث كان العلماء في قمة السلم الاجتماعي وكان الكثير منهم أثرياء ينعمون بتقدير الجميع.[14]

لهذا لا نستغرب سرعة انتشار العلم بجميع أنواعه وفنونه وعلى كل مستوياته في العالم الإسلامي، باعتبار أن الخلفاء والأمراء والسلاطين قد اهتموا بالتعليم، الذي يعتبر الركيزة الأساسية التي لها دور فعال في دفع عجلة الحركة الفكرية والثقافية وبالتالي تحقيق ارتقاء سلوك الإنسان أخلاقيا وحضاريا.

4. نماذج من اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم وأهله:

مما لا شك فيه أن الازدهار العلمي والفكري تولد بتضافر عدة عوامل، منها ما أبداه ملوك بني زيان من خلال تشجيعهم للعلم والعلماء ما يزيد عن الثلاثة قرون أو طيلة عمر الدولة الزيانية، وكذلك المنافسة التي كانت قائمة بين ملوك المغرب الإسلامي في المجال العلمي، فاعتنوا بالعلم وقربوا العلماء وأنزلوهم منازل تليق بهم، وأنشئوا لهم المؤسسات العلمية حتى يتسنى لهم تقديم دروسهم في مختلف فنون العلم والمعرفة. (15)

خلال هذا العنصر سأحاول الحديث عن أهم العوامل التي ساهمت وساعدت على الازدهار العلمي بالمغرب الأوسط على العهد الزياني والمتمثل في سياسة سلاطين بني زيان.

عرف المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي العديد من الحواضر والمراكز العلمية التي عبرت عن شخصيته الثقافية خصوصا على العهد الزياني (633-962هـ/1335-1554م) وهو بذلك لا يختلف كثيرا عن حواضر المشرق الإسلامي؛ إنَ الشيء اللافت للنظر بالمغرب الأوسط هو العناية الخاصة التي كان يوليها حكام بني زيان بالعلم والعلماء، حيث عرفت الحركة العلمية به أوج ازدهارها على عهد السلاطين الذين ضربوا بسهم في العلوم وكان تكوينهم الشخصي ينبني في جزء هام منه على الجانب العلمي. (16)

إن ما ميّز الفترة الزيانية أنها كانت فترة عطاء وازدهار علميين، حيث عملت الدولة على تشجيع الحركة العلمية بصور مختلفة من بناء المساجد، والمدارس، والزوايا وتزويدها بالخزائن العلمية، إلى مساعدة الطلبة بالمنح والجوائز، إلى عقد المجالس العلمية ومشاركة السلاطين فيها كطلبة أو مناقشين، إلى تبجيل العلم العلماء ورفعهم إلى المستويات العليا في هياكل الدولة، هذا ما ساعد على ازدهار الحياة العلمية، فأصبحت حواضره مراكز إشعاع علمي وقبلة يقصدها العلماء والطلبة في مقدمتها العاصمة تلمسان ثم الحواضر الأخرى بدرجة أقل. (17)

لقد احتلت الدولة الزيانية مركزا خاصا وهاما بين الدول التي تعاقبت على أرض المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، فهي الدولة الوحيدة التي استطاعت أن تمد وتبسط نفوذها على أكبر جزء من الجزائر الحالية، واستطاع سلاطينها توطيد العلاقات الثقافية وتمتينها مع الدول المجاورة، حيث ازدهر خلالها الفكر

وعلا شأن العلم زمانها، والسؤال المطروح هنا ما هي الجهود التي سجلت للسلاطين في دفع حركة الازدهار العلمي بالمغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية ؟

تنافس سلاطين وأمراء المغرب الإسلامي في المجال الفكري والثقافي فيما بينهم خلال الفترة التي تلت سقوط دولة الموحدين، حيث استقطبوا كبار العلماء والفقهاء والكتبة وأدرجوهم في المجالس العلمية وشجعوهم على الاستقرار في حضرتهم، وفي مقدمة هؤلاء السلطان الحفصي المستنصر أبي عبد الله (647-675هـ/1249-1277م) الذي اشتهر عنه تقريب العلماء فتشير النصوص أنه جلب إلى قصره ابن الخطاب أشهر علماء عصره بعدما بذل لأجل ذلك أحمالا من الأموال، لكن هذا العالم اعتذر وردّ له ما أرسل إليه. (18)

وقد سار على نفس النهج سلاطين الدولة الزيانية، حيث كانت بصماتهم واضحة في ميدان الحركة العلمية من خلال رعايتهم للعلماء واهتمامهم بالعلوم، وكان هؤلاء السلاطين يشجعون العلماء على الاجتهاد وتحرير الأفكار من الركود، كما أشرفوا أحيانا على المجالس والمنابر العلمية وحلقات الدروس(19) وخاصة وأنّ الكثير منهم كانوا من طلبة العلم ومريديه، هذا ما دفعهم إلى تشجيع العلماء والفقهاء فاستقبلوهم وأكرموا وفادتهم سواء الذين جاءوا من داخل أراضي الدولة أو خارجها (الأقطار المغربية، العدوة الأندلسية، المشرق الإسلامي)،(20) فالسلطان إذا كان عالما لا محال أن العلوم ستزدهر أيامه، فمن شروط انعقاد الخلافة في الإسلام العلم.(21)

بعد أن بدأ نفوذ دولة الموحدين يضعف في المغرب الأوسط، راحت مختلف القبائل الزناتية تقتطع أرضا لها فمغراوة استقرت بناحية شلف، وبنو توجين بجبل ونشريس، أما قبيلة بني عبد الواد هذه الأخيرة بدأت تبرز مع سنة (627هـ/1229م) بدخولها تلمسان سنة (633هـ/ 1235م)، حيث آلت إمارتهم إلى يغمراسن بن زيان(22)، وكان أول عمل سياسي قام به هو إعلان استقلال قبيلته عن الموحدين وبهذا قامت الدولة الزيانية، ثم بدأ يوطد أركان دولته فاختار الوزراء وانتقى الكتاب والعلماء والقواد الفطناء، ثم أخضع القبائل المجاورة من بني مطهر وبني راشد وتصدى للحفصيين شرقا والموحدين غربا، ومن هنا بدأت تبرز قوة الدولة الزيانية في المغرب الأوسط.

إنّ أغلب المصادر التي كتبت عنها، صوّرت لنا الجهود المبذولة من طرف ملوك بني عبد الواد[23] في الاهتمام بالحياة الفكرية، فبفضل العناية الفائقة التي كان يوليها هؤلاء برجال العلم والأدب والثقافة، وبما كانوا يجودون عليهم من منح، وجرايات، وحظوة، واهتمام وعناية خاصة بالمؤسسات التعليمية وتشييدها والإنفاق عليها كالمساجد، والمدارس، وهذا ما دأب عليه مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان وخلفاءه إذ شيدوا المدارس والمساجد ما شجّع توافد العلماء على دولتهم.[24]

باتجاه الدولة نحو الاستقرار الداخلي بدأ الاهتمام بالقطاعات الأخرى منها القطاع الثقافي، فكان يغمراسن بن زيان أول من دشّن المشروع العلمي بالدولة، حيث رغّب رجال العلم في القدوم إلى دولته وأغدق عليهم الأموال، والهدايا، والجرايات وأعلى منازلهم وشجّعهم على تلقين العلوم وتدريسها كما شجّع التأليف، وجالس العلماء والصلحاء وكان كثير الزيارة لهم.[25]

فيغمراسن كان محبا للعلم وأهله وإليه يرجع الفضل في إقناع أبو إسحاق التنسي أشهر علماء وفقهاء المغرب الأوسط آنذاك، حين استقر بتلمسان بعدما غادر تنس فحبّب له الإقامة بحاضرة الدولة بهدف نشر العلم بين ساكنتها مقابل توفير كل ما يحتاجه، فتم له ذلك وتم للسلطان ما أراد حتى أنه عرض عليه نقل أهله من تنس إلى تلمسان ليوفر له بيئة مواتية للعطاء. [26]

مما سبق ذكره عن السلطان الزياني يؤكّد مدى اهتمام مؤسس الدولة بالعلم وأهله، فتشير النصوص أنه استقبل علماء آخرين منهم ابن الوضاح الأندلسي[27] والكاتب الشاعر أبو بكر بن الخطاب الذي استخدمه على الكتابة لمخاطبة جيرانه من خلفاء دولة.[28]

أما السلطان أبو حمو موسى الأول (718/701هـ– 1318/1308م)، شهد له بالتدين وكان محبا للعلم وأهله فجعل مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر، وكان هذا السلطان أول مؤسس للمدارس التعلمية بالمغرب الأوسط على شاكلة مدارس المشرق الإسلامي ومدارس المرينيين والحفصيين، استقر بتلمسان على عهده الفقيهان الشهيران أبو زيد وأبو موسى ابني الإمام[29] فقرّبهما وأكرم وفادتهما وبنا لهما مدرسة سميت بمدرسة ولدي الإمام،[30] ويضيف يحي ابن خلدون أنه ابتنى لهما المسجد المسمى بهما وابتنى لهما دارين بجانب المدرسة بناحية المطمر[31] من تلمسان لطلب العلم وخصهما بالتدريس والفتوى والشورى وبذلك كانت لهما في دولته مكانة عالية.[32]

كما لعب السلطان الزياني أبو تاشفين الأول (718هـ / 1318- 737هـ / 1337م) دورا فعالا في تنشيط الحركة العلمية والفكرية، إذ قرّب العلماء إليه وفي مقدمتهم العالم الفقيه المالكي أبو موسى عمران المشدالي

البجائي (745هـ/ 1345)، وعيّنه للتدريس بالمدرسة الجديدة التي أسسها بتلمسان حتى تكون عاصمة الدولة الزيانية مضاهية لحواضر العلم بالغرب الإسلامي.[33]

اشتهرت على عهده أسر علمية منها أسرة بني الملاح وقاضي الجماعة أبو عبد الله مُحَمَّد بن منصور المعروف بابن هدية (735هـ/1335م) تولى منصب قاضي الجماعة بتلمسان وكانت له مكانة مميزة عند أبي تاشفين الأول، الذي حرص كل الحرص على إقامة المجالس العلمية في قصره دارت فيها نقاشات بين الفقهاء والعلماء والأدباء.[34]

ومن بين أبرز ما شيّده خدمة للعلم وأهله المدرسة التاشفينية التي نسبت له[35] بجانب الجامع الأعظم بتلمسان.[36]

كان هذا السلطان رجلا محبا للثقافة ومدافعا عنها، فكان يريد دوما أن يظهر تقديره لقيمة رجال العلم، الذين قربهم إلى بلاطه فتغنوا بفضله ومحاسنه[37]ولعل في مقدمة هؤلاء أبو موسى المشدالي المذكور سلفا.[38]

واصل السلطان أبو حمو موسى الثاني[39] طريق الاهتمام بالحياة العلمية، خاصة أنه كان كاتبا ومؤلفا وصله قدرات فكرية جليلة غذ خلّف لنا مؤلفا مهما سماه "واسطة السلوك في سياسة الملوك" ذكر هذا الكتاب عند البعض باسم" نظم السلوك "،[40] وذكره البعض باسم "نظم السلوك في سياسة الملوك" وصفته المصادر بأنه جاء فيه بالعجب العجاب.[41]

ومن آثاره في الحياة العلمية تشييده للمدرسة اليعقوبية سنة (765هـ/ 1364م) التي نسبها لوالده أبي يعقوب يوسف، دشّنها بنفسه عام (763هـ/1362م) وحضر دروسها الافتتاحية[42]، وعيّن للتعليم فيها العالم أبا عبد الله الشريف أشهر أساتذة تلمسان[43] نال الشعراء عطفه وكرمه وانتشر العلم بالمغرب الأوسط بصورة لم يعهد لها مثيل حيث نبغ فيه جلّة من العلماء والأدباء.[44] كما كانت له عناية كبيرة بالعلوم والآداب خاصة أنّه كان ملّما بمختلف العلوم لا سيما الأدب والشعر، فعقد مجالس علمية خاصة يحضرها كبار وفحول الشعراء، واعتنى بإنشاء المكتبات وجمع الكتب وحبسها عليها، كتلك المكتبة التي أسسها بتلمسان وجلب لها مختلف الكتب.[45]

أما السلطان أبو زيان مُحَمَّد الثاني حكم مابين (780/796هـ - 1394/ 1399م) فأبى إلا أن يسير على نهج من سبقوه في الاهتمام بأحوال الدولة فكريا وثقافيا، فكان خير خلف لخير سلف في هذا المجال .

رعى العلماء ورفع منازلهم، وكان له سهم في مختلف العلوم، حيث كانت جلساته لا تخلو من المناظرات والمذاكرات والمحاضرات العلمية، التي ساهمت في ازدهار الحياة العلمية،[46] وكان مهتما بجمع الكتب وتحبيسها على مختلف الخزائن حتى يتسنى لطلبة العلم الاستفادة منها في أبحاثهم، وكان ينسخ نسخا من القرآن الكريم وصحيح البخاري وكتب أخرى جعلها بخزائن الجامع الأعظم.[47]

ومن آثاره العلمية التي عكست شخصيته التواقة للعلم المحبة لأهله تأليفه كتاب سماه:" كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمأنة والنفس الأمارة سلك فيه مسالك الزهاد والمتصوفة.[48]

5. خاتمة:

خلصت الورقة البحثية إلى جملة من النتائج هي:

– عرف المغرب الأوسط ازدهارا فكريا وعلميا خلال العهد الزياني، حيث انتشر التعليم تقريبا في كل مدن الدولة ومعظم قراها، وهذا راجع من دون شك لعدة اعتبارات، منها العناية الفائقة التي كان يوليها سلاطين بني زيان للعلم والعلماء، خصوصا على عهد هؤلاء الذين كان لهم تكوين علمي واهتمام كبير بهذا المجال .

– من مظاهر اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم إقامة وتشييد المؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس في صورة المدرسة التاشفينية ومدرسة ولدي الإمام.

– ومن مظاهر ذلك الاهتمام أيضا استقبال وفادة العلماء وإكرامهم وذلك بتوفير كل شروط الراحة .

– يلاحظ على سلاطين بني زيان أنهم لم يكن يهمهم تخليد اسمهم في تاريخ الدولة بقدر ما كان يهمهم خدمة العلم وأهله ويتضح ذلك في أن أبو حمو موسى الأول لم يسمي المدرسة التي بناها باسمه بل نسبها على العلماء (ولدي الإمام).

–كان لسياسة سلاطين بني زيان أثر بالغ في ازدهار الحياة العلمية والفكرية بالمنطقة .فنبغ كثير من العلماء في العلم النقلي والشرعي .

6. الهوامش:

[1] ابن الأثير عز الدين، **الكامل في التاريخ، المجلد** 12، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص 358 .

[2] المصدر نفسه، ص 306 .

[3] ملك التتر، يعرف بتموجين، نفسه، ص 361 .[3]

[4] فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية**، موفم للنشر، الجزائر، 2007 ، ص 318 .

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 360- 361 .

[6] سورة العلق، الآية رقم (1- 5) .

[7] سورة الزمر، الآية رقم (9) .

[8] سورة فاطر، الآية رقم (27) .

[9] المقدسي أحمد بن عبد الرحمان بن قدامه (651هـ/ 689م)، **مختصر منهاج القاصدين**، اعتنى به وعلق عليه عبد المنعم شلبي وحسين الزهران، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص17.

[10] **نفسه.**

[11] شاوش الحاج مُحَمَّد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 414 .

[12] المقدسي، المصدر السابق، ص 19 .

[13] ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 258 .

[14] بل ألفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1987، ص 358 .

[15] الغبريني أبو العباس أحمد (ت 704هـ/ 1304م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1970، ص 4-5 .

[16] عبد الكريم شباب، **صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين (7-8هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر لابن خلدون**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2002-2003، ص 95 .

[17] زقور أحسن، **أبحاث في المخطوطات تحقيق مخطوطات العلوم الإسلامية، أبو العباس أحمد الونشريسي ومخطوطه المنهج الفائق في علم الوثائق**، منشورات دار الأديب، وهران، 2007 ، ص 68-69 .

[18] ابن الذيب عيسى وآخرون، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2007، ص 147- 148 .

[19] عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ص 220 .

[20] المرجع نفسه، ص 319 .

[21] الماوردي علي بن مُحَمَّد البصري (ت450هـ)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 06 .

[22] ابن خلدون عبد الرحمن، **المصدر السابق**، ص 93- 94- 108 .

[23] ابن خلدون يحيى أبي زكرياء، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج01**، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980 ، ص- ص 186 – 191.

[24] ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، الطبعة الأولى، 2001، ص 40.

[25] ابن خلدون يحيى، المصدر السابق ص 204 .

[26] التنسي مُحَمَّد بن عبد الله، **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان (تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)**، حققه محمود بوعياد، صدر عن وزارة الثقافة، 2007 ، ص 126-127 .

[27] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 93 .

[28] – نفسه، ص 93 – 94 .

[29] ابن خلدون عبد الرحمن، **رحلة ابن خلدون**، عارضها بأصولها وحواشيها، مُحَمَّد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2005، ص- ص 46-48.

[30] التنسي، المصدر السابق، ص 139 .

[31] تذكر لنا بعض المصادر مكان يدعى المطمر قرب مدينة مستغانم ويقول يحي بوعزيز بالهامش خلال تحقيقه لكتاب طلوع سعد السعود، أن المطمر حي من أحياء مستغانم ، ويذكر مطمر أخرى للتفرقة بين هذا الحي والقرية التي تقع بين مستغانم وغليزان تدعى المطمر، بينما التي نتحدث عنها بتلمسان ذكرت بأنها مكان معد لتخزين وحفظ المؤن والمواد الغذائية والسلع المختلفة لكي تستعمل عند الضرورة خاصة أثناء الحرب و أوقات الحصار، تقع في الجهة الغربية بالقرب من باب كشوط تسمى حومة المطمر، ينظر، الأغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1990، ص85-86، ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج02، تقديم وتحقيق وتعليق، بوزياني دراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 74 .

[32] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 118.

[33] عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ص 322 .

[34] عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ص 322 .

[35] منصور عبد الوهاب ، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية الرباط، 1979 ، ص 294-295 .

[36] التنسي، المصدر السابق، ص ، 140-141 .

[37] بورويبة رشيد وآخرون، **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 385 .

[38] المزاري الأغا بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990، ص 167 .

[39] تولى الحكم في الفترة الممتدة بين (760هـ - 791هـ / 1358م - 1388م). التنسي، مصدر سابق، ص 160- 161 .

[40] ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ص 31- 32 .

[41] التنسي، المصدر السابق، ص 160–161 .

[42] الحاج مُحَمَّد بن رمضان شاوش،المرجع السابق، ص 106 .

[43] ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس، **كتاب الوفيات معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء من سنة 11هـ – 807 هـ**، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص 368 .

[44] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 322-323 .

[45] المرجع نفسه، ص 323 .

[46] التنسي، المصدر السابق، ص 211 .

[47] نفسه.

[48] نفسه.